



OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 5-7-2022
تاريخ القبول: 1-5-2023

أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز

عيسي بن بها⁽¹⁾

benbaha1918@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث النظرية الأخلاقية عند أحد المفكرين الأخلاقيين المعاصرين؛ وهو محمد عبد الله دراز، ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على مقاربة دراز الأخلاقية في الدرس الأخلاقي المعاصر؛ وقد تجلّت ملامحها في الانتقال من مجرد الاستغلال بالأخلاق العملية فقط كما هو السائد عند الأخلاقيين القدامى، إلى الاستغلال بالأخلاق النظرية والعملية معًا. وقد سلّكت في هذه الدراسة منهجية التحليل والمناقشة. وأما نتائج البحث فكان من أهمها؛ إبراز القوة التنطيرية لدراز في القدرة على تأسيس نظرية أخلاقية إسلامية معاصرة، تلخصت مبادئها في خمسة أركان وهي: الإلزام الأخلاقي، المسؤولية الأخلاقية، الجزاء، النية والدّوافع، الجهد المبدع. إضافة إلى طرح سؤال الإطار النظري للفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر؛ وقد أبدع دراز في مقاربة هذا السؤال، حيث أنتج نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية؛ جديرة بأن تكون أساساً معرفياً، وإطاراً نظرياً للدراسات الأخلاقية في الفكر الإسلامي المعاصر. وقد عرض الشيخ دراز مجمل أفكار نظريته الأخلاقية في كتابه "دستور الأخلاق في القرآن". وقد صاغ دراز أسس نظريته من النص القرآني، دون أن يكون أسيراً للمقاربات الأخلاقية اليونانية والفارسية كما حصل مع الكثيرين من القدامى والمعاصرين.

الكلمات المفتاحية:

الإلزام الأخلاقي، المسؤولية الأخلاقية، الجزاء، النية والدّوافع، الجهد المبدع.

(1) باحث في سلك الدكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر (المغرب).

للاقتباس: بن بها، عيسى، أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج. 7، ع. 2، 98-121، 2023.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (NC 4.0-CC BY) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تزيل البحث وقراءته والتصرف به مجاناً، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS

Received: 2022-7-5

Accepted : 2023-5-1



The pillars of the ethical theory of Muhammad Abdullah Daraz

Isa benbaha⁽²⁾

benbaha1918@gmail.com

Abstract

This study aimed to investigate the ethical theory of a contemporary thinker of ethics, Muhammad Abdullah Daraz, in order to shed light on his ethical approach in the contemporary ethical theory, which is characterized by the transition from merely focusing on practical ethics only, as was prevailing among the ancient moralists, to dealing with both theoretical and practical ethics. To achieve this objective, the method of analysis and discussion was followed. This resulted in a number of findings. Highlighting Daraz's theoretical strength in the ability to establish a contemporary Islamic ethical theory, whose principles are summarized in five pillars: moral obligation, ethical responsibility, penalty, intention and motives, and creative effort, in addition to raising the question of the theoretical framework of contemporary Islamic ethical thought. Daraz excelled in approaching this question, as he produced an integrated theory of theoretical ethics, which is worthy of being an epistemological basis and a theoretical framework for ethical studies in contemporary Islamic thought. Sheikh Daraz presented all his ideas of his ethical theory in his book: "The Constitution of Ethics in the Qur'an". He developed the principles of his theory from the Qur'an, without being influenced by Persian and Greek theories, as was the case with ancient and modern theoreticians.

Keywords:

ethical obligation, ethical responsibility, Penalty, Intention and motives, Creative effort.

(2) PhD researcher, Department of Islamic studies, Faculty of Arts and Humanities, Ibn Zohr University (Morocco).

Cite this article as: Benbaha, Isa, The pillars of the ethical theory of Muhammad Abdullah Daraz, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 7, issue 2, 2023, 98-121.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

مقدمة:

إن عناية المسلمين بالبحث والدراسة في مجال الأخلاق ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة قدم العلوم الإسلامية؛ حيث ألف بعض العلماء المتقدمين في الأخلاق مؤلفات قيمة؛ سواء في الجانب النظري أو في الجانب العملي؛ كالأخصفياني في «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، والماوردي في «أدب الدنيا والدين»، والغزالى في موسوعته الأخلاقية «إحياء علوم الدين»، والعز بن عبد السلام في كتابه «شجرة المعارف والأحوال» وغيرهم..

وهذه العناية راجعة إلى كون الأخلاق مقصد عظيم للقرآن والسنّة؛ قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّيَّنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرْكِي هُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (سورة الجمعة الآية: 2). قال أبو الحسن الندوى: «مهمة تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية ومقاصد البعثة المحمدية؛ وفي القرآن ما يدل على أن الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمـة»⁽³⁾، وقد أكدَ النبي ﷺ هذا الغرض الأخلاقي بقوله: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»⁽⁴⁾. فالأخلاق تستأهل اهتماماً خاصاً بدراستها والتوسيع في بحث أسسها ومبادئها وآليات بحثها. من أجل تأسيس إطار نظري للأخلاق أولاً، ومن أجل تحقيق التخلق العملي للإنسان المعاصر ثانياً؛ الذي أصبح يعيش وضعاً أخلاقياً مأساوياً، يوصف بمرحلة ما بعد الأخلاق.

و«لا شيء يمنعنا من الحديث عن ضروريات أخرى منفردة أو مجتمعة، مما له شأن وخطر في مجمل الحياة البشرية؛ كالأخلاق... وأن نعطيها من العناية ما تستحقه شرعاً وواقعاً»⁽⁵⁾. وبالنظر إلى الوظيفة الكبرى التي تؤديها الأخلاق في حياة الإنسان؛ فإنها « تستحق بكل جدارة أن تضاف إلى الضروريات الخمس، سواء كانت السادسة أو قيل ذلك»⁽⁶⁾.

لكن الملاحظ على غالبية التأليف والكتابات في الأخلاق – خاصة لدى السابقين- أنها:

(3) أبو الحسن الندوى، العقيدة والسلوك في ضوء الكتاب والسنّة والسيرة النبوية، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية 1403هـ/1983م، ص 134.

(4) البخاري، صحيح الأدب المفرد، باب حسن الخلق، تحقيق الألباني، السعودية، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 1418هـ/1997م، ص 118.

(5) أحمد الريضوني، دراسات في الأخلاق، مصر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2016م، ص 60.
(6) المرجع نفسه، ص 59.

-تهتم بدراسة الأخلاق العملية غالباً باعتبارها: «نصائح عملية، هدفها تقويم أخلاق الشباب، حين توحى إليهم بالاقتناع بالقيمة العليا للفضيلة»⁽⁷⁾، وتغفل بقصد أو بدون قصد الجانب التنظيري لمنظومة الأخلاق الإسلامية.

-تسم بقصور شديد في الجانب النظري للأخلاق (الأخلاق النظرية)، وحتى الإنتاجات التي حاولت أن تلامس الجانب النظري فقد جاءت محدودة؛ فلا تعدو أن تكون محاولات وصفية «لطبيعة النفس وملكتها، ثم تعريف للفضيلة وتقسيم لها، مرتب في غالب الأمر بحسب النموذج الأفلاطوني، أو الأرسطي»⁽⁸⁾؛ حيث تأثرت مبادرات الكتابة الإسلامية في الأخلاق في غالها بالمرجعيات النظرية الأخلاقية الواقفة كالمرجعية اليونانية والفارسية، وقد تم «تهميشه المرجعية القرآنية في التأسيس لعلم أخلاقي إسلامي»⁽⁹⁾. والظاهر أنه «حتى النص القرآني فهم في ضوء تلك المرجعية الأخلاقية اليونانية، ويدو أن الراغب الأصفهاني كان سباقاً إلى ذلك حين استعار النموذج الأفلاطوني في تقسيم النفس، وحصر الفضائل الأخلاقية في أربعة وهي: العفة والشجاعة والحكمة والعدل»⁽¹⁰⁾، ثم اقتدى به غيره فيما بعد؛ فأصبح الإنتاج الأخلاقي في دائرة الفكر الإسلامي حينها منفتحاً على الفكر الأخلاقي اليوناني، «وفي هذا الاتجاه سار الغزالي سواء في كتابه الذي حدا فيه حذو الأخلاق اليونانية... والذي جعل عنوانه ميزان العمل، أو في كتابه الشهير إحياء علوم الدين الذي تبني فيه هيكل الأخلاق اليونانية»⁽¹¹⁾.

وقد لاحظ الدكتور محمد عابد الجابري أيضاً أن بعض الأقلام الإسلامية في مجال الأخلاق استعارت بعض خصائص التفكير الأخلاقي الخاص بالنظام الأخلاقي الفارسي، وينذكر أن من ركنا إلى المرجعية الفارسية في بحث الأخلاق - خاصة في جانب الأخلاق السياسية - الإمام الماوردي في كتابيه: «نصيحة الملوك» و«تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك»؛ حيث «كان يفكر من منظور ينتهي في هذا المجال إلى الموروث الفارسي»⁽¹²⁾، وسيلاحظ قارئ هذين الكتابين أن ثمة استعارة أخلاقية واضحة من النموذج الفارسي، ونجد أن الكتابين يكتشفان «بحق مدى تغلغل القيم الكسروية حتى في أوساط كبار الفقهاء»⁽¹³⁾.

(7) محمد عبد الله دراز، *دستور الأخلاق في القرآن*، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة 1998، ص.4.

(8) المرجع نفسه، ص.4.

(9) معتز الخطيب، «آيات الأخلاق»، *مجلة الأخلاق الإسلامية*، الدوحة، قطر، مركز دراسات التشريع والأخلاق، العدد 1، ص.115.

(10) المرجع نفسه، ص 109.

(11) محمد عابد الجابري، *العقل الأخلاقي العربي*، بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2001م، ص.50.

(12) المرجع نفسه، ص.47.

(13) المرجع نفسه، ص.232.

ومن خلال تأمل الملاحظتين أعلاه ينبع سؤال مهم: هل يمكننا الحديث عن نموذج نظري أخلاقي معاصر- نابع من القرآن الكريم يشكل نسقاً معرفياً أخلاقياً يصلح أن يكون نظرية أخلاقية قرآنية خالصة؟ وما هي أركان هذا النموذج وأسسها؟

وللإجابة على هذا السؤال، أبادر إلى القول بأن الدكتور محمد عبد الله دراز، (ت 1958م) قد أبدع في هذا المجال، وأنتج نظرية متكاملة في الأخلاق النظرية، جديرة بأن تكون أساساً معرفياً وإطاراً نظرياً للأبحاث والدراسات التي يمكن أن تتجز في مجال الفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر؛ وقد أودع الشيخ دراز مجلماً أفكار نظريته في الأخلاق كتابه المتفرد في مجاله، والموسوم بـ«دستور الأخلاق في الإسلام». فإذاً «يمكن القول دون مجازفة إن دراز أسس علم أخلاق القرآن... وقد أدرك... أنه يسلك دروبًا غير مطروفة»⁽¹⁴⁾؛ وبذلك يكون المؤلف رحمة الله قد أضاف لمسة متميزة في الفكر الأخلاقي إلى المكتبة الإسلامية؛ من خلال دراسته للأخلاق في جانبيها النظري دراسة جديدة جديرة بأن تكون أرضية صلبة للنقاش الأخلاقي الإسلامي المعاصر، وقد اعتمد في دراسته على مرجعية القرآن الكريم.

ولم يسقط عمل دراز في الأخطاء المنهجية التي سقطت فيها أغلب الانتجات الأخلاقية قبله؛ حيث لم «يظهر فيها النص القرآني كلياً، أو هو لا يكاد يظهر إلا بصفة ثانوية»⁽¹⁵⁾، وقد اعتمد دراز منهجية قائمة على القراءة السياقية للنصوص الأخلاقية في القرآن، بالنظر إلى سياقاتها الكلية؛ باعتبارها آلية لاستخلاص النظرية الأخلاقية، دون العناية الكبيرة بالظروف التاريخية التي نزل فيها القرآن الكريم، حيث يجعل النص القرآني ذاته نقطة انطلاق، يستخرج منه الإجابة عن كل مسألة، بالرجوع المباشر إلى إلهه⁽¹⁶⁾. وقد لوحظ أن مثل هذه المنهجية قد تبناها غيره من الأخلاقيين المعاصرين كـ«داود رهبر» الذي وظفها في مجال بحث الأخلاق الإلهية، مبرهناً بواسطتها على أن الباعث الأخلاقي في القرآن هو العدل الإلهي الصارم⁽¹⁷⁾.

وبناء على تلك المنهجية؛ استخلص دراز من القرآن الكريم نسقاً معرفياً في الأخلاق النظرية، فاستطاع بذلك أن يصوغ نظرية أخلاقية تأسست على خمسة أركان رئيسية -كما سترى- وهي: الإلزام الخلقي، المسؤولية الأخلاقية، الجزاء، النية والدوافع، الجهد الأخلاقي. لكن قبل الخوض في تناول هذه الأركان يجدر بنا أن نعرف كلاً من مفهوم الأخلاق، ومفهوم النظرية الأخلاقية، على أن نخصص في الأخير محوراً تعقبياً؛ لإبداء وجهات نظر نقدية أو مخالفة لنظرية دراز.

(14) محمد المختار الشنقيطي، «خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين»، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016م، ص.29.

(15) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص.4.

(16) المرجع نفسه، ص.13.

(17) Rahbar, Daud.« God of justice: A study in the ethical doctrine of the Qur'an». Leiden: E. J. Brill, 1960 ,page(4-6).

أولاً: التحديد المفاهيمي

الأخلاق:

الأخلاق جمع حُلُقٍ ويعني في اللغة العربية: «السجية والطبع والمرءة والدين»⁽¹⁸⁾، وقد عرَّفَ مجمع اللغة العربية الخُلُقَ بأنه: «حال للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر ورؤية»⁽¹⁹⁾، فالخُلُقُ بفتح الخاء يختلف عن الخُلُقِ بضم الخاء؛ فالأول مختص «بالمهارات والأسκال والصور المدركة بالبصر»⁽²⁰⁾، والثاني مختص «بالمُقوِّي والسجايا المدركة بال بصيرة»⁽²¹⁾. قال الله تعالى: «إِنَّمَا لَعَلَى الْخُلُقِ عَظِيمٌ» (سورة القلم: الآية 4)، فالأخلاق بهذا المعنى اللغوي تدور حول الصفات الباطنية الداخلية للإنسان؛ من حيث كونها صفات راسخة في الباطن؛ توجه السلوك في الظاهر. وأما المعنى الاصطلاحي للأخلاق لدى المشتغلين بالأخلاق في التراث الإسلامي، فنجد أغلبهم لا يخرجون كثيراً عن المعنى اللغوي؛ فهذا ابن مسكونيه يعرف الخُلُقَ بقوله: «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكِّرٍ ولا رؤية»⁽²²⁾، وذهب الغزالى إلى تبني المعنى نفسه؛ حيث عرَّفَ الخُلُقَ بأنه: «هيئة للنفس راسخة؛ عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورؤية»⁽²³⁾، وعلى نفس المعنى الاصطلاحي سار الماوردي⁽²⁴⁾ وغيره... ويلاحظ على هذه التعريفات أنها تعريفات «وصفية لا معيارية»⁽²⁵⁾.

وأمام هذه التعريفات الوصفية، يرى الدكتور محمد عبد الله دراز، أنها تعريفات لم تف بالغرض التعريفي لمفهوم الأخلاق؛ وهو ما دفعه إلى إعادة صياغة تعريف جديد لمفهوم الخُلُق؛ وذلك بإدخال قيد دقيق على التعريف الأخلاقي الموروث؛ وهكذا اعتبر أن الأخلاق تصدر عن قوة الإرادة وليس عن مطلق النفس فجاء تعريفه كالتالي: «الخُلُقُ هو قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير

(18) أبو البقاء الكفوي، «الكليات: مجمع في المصطلحات والفرق اللغوية»، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص 429.

(19) «المجمع الوسيط» مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 2004م، ص 252.

(20) الراغب الأصفهانى «المفردات في غريب القرآن»، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت – دمشق، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ، ص 297.

(21) المرجع نفسه، ص 297.

(22) ابن مسكونيه، «تهذيب الأخلاق»، تحقيق ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ص 41.

(23) أبو حامد الغزالى، «إحياء علوم الدين»، بيروت، دار المعرفة، 3/53.

(24) أنظر الماوردي، أدب الدنيا والدين، بيروت، دار اقرأ، الطبعة الرابعة 1985م، ص 23.

(25) معتز الخطيب، «آيات الأخلاق» مرجع سابق، ص 84.

وصلاح (إن كان الخلق حميداً)، أو إلى اختيار ما هو شرٌّ وجورٌ (إن كان الخلق ذميماً)»⁽²⁶⁾.
ويبدو أن علة قصره صدور الأخلاق عن قوة الإرادة فقط، دون كلِّ النفس؛ هي أن «للنفس قوى
مختلفة ووظائف متعددة. فهناك ملكات الإدراك، والتفكير، والحكم، والتخييل، والتذكرة...»⁽²⁷⁾، ولا
يمكن للنفس عبر هذه القوى المتعددة الوظائف أن تستغل كلها بالأخلاق، وإنما الجزء المختص بها في
النفس هو قوة الإرادة دون غيرها.

النظريّة الأخلاقيّة في القرآن:

هي نسق معرفي نظري جامع لمبادئ وقواعد النظام الأخلاقي في القرآن الكريم في شكل بناء متماسك يصلح أن يكون إطاراً معيارياً تبني عليه الممارسات والأنشطة الأخلاقية للإنسان وتقوم بقواعد. وقد اجتهد الدكتور محمد دراز فأبدع نظرية أخلاقية متماسكة من منظور قرآني، وبذلك ملأ فراغاً لم ينهض أحدٌ من المسلمين أو المستشرقين قبله بمثله، ولم يسبق لأحدٍ قبله أن قام باستخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعه⁽²⁸⁾، وقد بسط دراز أسس هذه الشريعة الأخلاقية وأركانها في كتابه القيم «دستور الأخلاق في القرآن». وكان عمله متفرداً في بايه، جاعلاً من القرآن الكريم مرجعه الرئيس، يستخلص منه «الإجابة عن كل مسألة، بالرجوع المباشر إلى النص. وهنا تكمن الصعوبة؛ فإن النصوص المتعلقة بالنظرية الأخلاقية ليست بالكثرة والوضوح اللذين تمتاز بهما الأحكام العملية»⁽²⁹⁾. إن نظرية الأخلاق في القرآن كما صاغها دراز تناولت الجانب النظري للأخلاق بكيفية شمولية، تجاوز فيها مجرد وصف ملكات النفس ومراتبها؛ إلى وضع إطار نظري جامع يدرس الجوانب الكلية والقضايا الجامعة لعلم الأخلاق في القرآن، ولكي «ت تكون لدينا فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أن نتصور بها معنى الأخلاق من أين تأتي القاعدة الأخلاقية؟ وبأي الشروط تفرض نفسها؟ وما النتائج التي تترتب على موقفنا منها؟ وما المبدأ الذي يجب أن يلهم سلوكنا؟ وبأي وسيلة تُنال الفضيلة؟ والإلزام، والمسوؤلية، والجزاء، والنبة، والجهد، تلكم هي العُمُد الرئسية لكل نظرية أخلاقية واعية برامها»⁽³⁰⁾.

(26) محمد عبد الله دراز، *كلمات في مبادئ الأخلاق*، المطبعة العالمية، 1953م، ص 4.

(27) يوسف القرضاوي، «أخلاقي الإسلام»، القاهرة، دار المشرق، 2017م، ص.2.

(28) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1996م، ص.1.

(29) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 13.

675 (30) المراجع نفسه، ص

ثانياً: أركان وأسس النظرية الأخلاقية

الإلزام

الإلزام ركن أساسى تبني عليه الأنظمة الأخلاقية في المجتمعات البشرية، فلا بد أن «يستند أي مذهب أخلاقي جدير بهذا الاسم على فكرة الإلزام obligatio، فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النبوي الذي يدور حوله كل النظام الأخلاقي، الذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته؛ وفناء ماهيتها؛ ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدلت المسئولية، فلا يمكن أن تعود العدالة؛ وحينئذ تفتتى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم المهمجية، لا في مجال الواقع فحسب، بل في مجال القانون أيضاً»⁽³¹⁾.

إن الإلزام الأخلاقى مبدأ يستند إلى القرآن الكريم؛ باعتباره كتاب إلزام وتکلیف نظراً لکثرة واجباته الإلزامية، من ذلك قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» (سورة النحل: الآية 90)، وقوله أيضاً: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْرَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» (سورة النساء: الآية 58). «فالأخلاق في الإسلام ليست منحصرة في أبواب الآداب وحسن السلوك، وإنما هي سارية في جميع الأبواب وجميع الأحكام وجميع التكاليف الشرعية... فكل ذلك مطبوع بطابع الأخلاق ومؤسس علمها ومحكم هبها»⁽³²⁾.

يتبيّن من الأوامر القرآنية ذات الطابع الأخلاقي؛ أن الأخلاق القرآنية لدى دراز قائمة على فكرة الواجب الذي يخاطب فينا ملّكات النفس المسؤولة عن تخلّيق ذاتنا وتزكية قلوبنا، قال تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ① وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ②» (سورة الشمس: الآيات 9، 10)، فالخطاب القرآني «لم يقتصر على الملّكات العقلية وحدها، بل قد عني في الوقت نفسه عنابة كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا وأذكّاها، بيد أنه لم يحرك هذه إلا تحت رقابة عقلك، فهو يتوجه إلينا دائماً، أعني: يتوجه إلى ذلك الجانب المضيء من أنفسنا... ومن المشاعر السامية التي حركها القرآن الكريم فيينا-نذكر على سبيل المثال ما جاء فيه دعماً لسائر واجباتنا الاجتماعية، بالمعنى الأوسع لكلمة (مجتمع)، إلا وهو الشعور بالأخوة الإنسانية، في قوله تعالى: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

(31) المرجع نفسه، ص.21

(32) أحمد الريسوني، دراسات في الأخلاق، مرجع سابق، ص.12

وَجَعَلْتُكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا» (سورة الحجرات: الآية 13)، ولقد تجلى هذا الشعور حين قدّم لنا القرآن في صورة عاطفية مؤثرة مَشَدِ الفزع الذي ينبغي أن يزعنا عن اغتياب الآخرين، فشبّه المغتاب بمن «يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» ثم يضيف «فَكَرِهُتُمُوهُ»⁽³³⁾.

فإذن لا نتصور قاعدة أخلاقية بدون إلزام، ومن مميزات القواعد الأخلاقية أن الشّرع الإلهي يأمرنا بها، والبصيرة الخلقيّة بداخلنا تحثنا عليها باستمرار وتلومنا في حال عدم احترامها، قال الله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» (سورة القيامة: الآيات 14، 15)، إن الفضيلة الخلقيّة «بالإضافة إلى جمالها الذاتي مُؤثرة ومحركة بطبعتها، تدفعنا إلى العمل لكي نجعل منها حقيقة فعلية؛ لأنّ الخير الأخلاقي يتميّز بتلك السلطة الّامّة تجاه الجميع، وبتلك الضرورة التي يشعر بها كل إنسان بوجوب تنفيذ نفس الأمر، مهما كانت حالته الشّعورية، مما يجعل مخالفة ذلك بغية ومستجنة»⁽³⁴⁾.

ينهنا دراز إلى أن الواجب الأخلاقي الذي يدعو إليه القرآن يختلف عن الواجب الأخلاقي لدى الفيلسوف الألماني (كانط) الذي اتسمت نظريته في الأخلاق بالشكلية المضضة، فقد ربط كانط أخلاقي الواجب بـ«سلطة عليا تفصل في الأمر» (هذه السلطة ليست المجتمع على كل حال؛ لأن الموضوع يتعلق بالسلوك الأخلاقي لا بالتشريع...) واعتقد أنه وجدها في العقل في صورته الصافية المجردة؛ برغم اعترافه بعجز العقل عن التوصل إلى تحديد الواجبات الإنسانية⁽³⁵⁾، أما الواجب الأخلاقي في القرآن -حسب دراز- فإنه لا يقدم واجباته الأخلاقية شكلية مضضة؛ بل يوردها وهي تتسم بالموضوعية والشمولية فهو جامع بين الخلق الفطري والأمر الإلهي في تناغم وانسجام فهو -أي القرآن الكريم- «لا يقدم لنا الأمر الإلهي كسلطة مطلقة -مكتفية بذاتها كسلطة- لتكون في نظرنا أساس سلطان الواجب على ضمائرنا، بل إن مما يثير العبرة حّقاً أن نلاحظ -على عكس ذلك- كيف أن هذا الكتاب الكريم يعني عناية فائقة بأن يقرن كل حكم في الشّريعة بما يُسوغه، ويربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الأخلاقية التي يتأسس علمها»⁽³⁶⁾؛ وقد ساق دراز أمثلة للأمر الأخلاقي القرآني المقرر بقيمة الأخلاقية؛ من ذلك أن القرآن الكريم عندما «يدعونا أن نتقبل من أهلينا كل تسوية للصلح، حتى ولو كانت في غير

(33) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 30-29.

(34) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 8.

(35) المرجع نفسه، ص 11.

(36) المرجع نفسه، ص 17.

صالحنا يؤيد دعوته بتلك الحكمة: (والصلح خير)... ولكي يُسْوِغ قاعدة الحياة، التي تطلب من الرجال أن يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم نجده يسوق هذا التفسير **﴿ذَلِكَ أَرْزَكَ لَهُمْ﴾**.. فالأمر الإلهي يسُوِّغ في نظرنا بتطابقه مع تلك الحقيقة الموضوعية، وهو بهذا التطابق يستحوذ على قبولنا؛ كما أنه يقيم على هذا القبول سلطانه الأخلاقي»⁽³⁷⁾.

المسؤولية الأخلاقية

فكرة المسؤولية عنصر جدّ مهمٍ في النظرية الأخلاقية؛ فهي ترتبط بشكل وثيق بفكرة الإلزام، وفكرة الجزاء، «والواقع أن هذه الأفكار الثلاثة... لا تقبل الانفصام، فإذا ما وجدت الأولى تتبعـتـ الآخـريـانـ عـلـىـ إـثـرـهـ؛ـ إـذـاـ اـخـتـفـتـ ذـهـبـتـاـ عـلـىـ الـفـورـ فـيـ أـعـقـابـهـاـ.ـ فـالـإـلـزـامـ بـلـاـ مـسـؤـولـيـةـ يـعـنيـ القـوـلـ بـوـجـودـ إـلـزـامـ بـلـاـ فـرـدـ مـلـزـمـ،ـ وـلـيـسـ بـأـقـلـ اـسـتـحـالـةـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ نـفـتـرـضـ كـائـنـاـ مـلـزـمـاـ وـمـسـؤـولـاـ بـدـوـنـ أـنـ تـجـدـ هـذـهـ الصـفـاتـ تـرـجـمـهـاـ وـتـحـقـقـهـاـ فـيـ جـزـاءـ منـاسـبـ،ـ فـإـنـ مـعـنـىـ ذـلـكـ تـعـرـيـةـ الـكـلـمـاتـ مـنـ مـعـانـيـهاـ»⁽³⁸⁾،ـ وـهـذـاـ المـعـنـىـ الـلـزـومـيـ بـيـنـ الـمـسـؤـولـيـةـ وـالـإـلـزـامـ هـوـ سـرـ التـزـامـ الـفـاعـلـ الـأـخـلـاقـيـ بـالـخـلـقـ الـحـمـيدـ وـبـنـدـ الـخـلـقـ الـذـمـيمـ؛ـ فـيـلـتـزـمـ بـالـأـخـلـاقـ وـيـعـدـ لـلـحـسـابـ وـالـمـسـاءـلـةـ،ـ وـيـنـتـظـرـ الـجـزـاءـ.ـ فـمـاـ لـمـ يـكـنـ الـإـنـسـانـ مـسـؤـولـاـ،ـ وـمـاـ لـمـ يـكـنـ مـحـاسـبـاـ عـلـىـ أـفـعـالـهـ يـغـدوـ التـشـكـيـكـ لـاـ مـهـرـبـ مـنـهـ..ـ فـالـحـسـابـ أـوـ تـحـقـقـ الـمـسـؤـولـيـةـ شـرـطـ لـازـمـ لـلـتـزـامـ الـأـخـلـاقـيـ وـالـإـلـزـامـ الـأـخـلـاقـيـ»⁽³⁹⁾.

من هذا المدخل فإن المسؤولية في إطار نظرية دراز تعني: «استعداد فطري، إنها المقدرة على أن يُلزِمَ المرء نفسه أولاً، والقدرة على أن يُفْيِي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة»⁽⁴⁰⁾، والقرآن الكريم يحصر المسؤولية في ثلاثة أنواع «المسؤولية الدينية والمسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الأخلاقية الخالصة، ذكرها القرآن في آية واحدة بنفس الترتيب؛ قال سبحانه: **«يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْشَمْ تَعْلَمُونَ»** (سورة الأنفال / الآية: 27)»⁽⁴¹⁾.

(37) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 51-52.

(38) المرجع نفسه، ص 136.

(39) إسماعيل الفاروقى ولياء الفاروقى، «أطلس الحضارة الإسلامية»، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998م، ص 134.

(40) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 137.

(41) المرجع نفسه، ص 38.

وكما أكد القرآن على مسؤولية الإنسان الدينية أمام خالقه يوم القيمة: «فَوَرِّبْكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (سورة الحجر: الآيات 92 و 93)، فقد أكد أيضاً على مكانة المسؤولية الأخلاقية، «وَكَيْفَ أَنْهُ -حتى في ذلك اليوم الحاسم- يدفع محكمة الضمير إلى الأمام لإعداد وتبير الحكم الأخير: «أَقْرَأْ كَتَبَكَ كَفَّ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبَاً» (سورة الإسراء: الآية 14)»⁽⁴²⁾. ولتلخيص الدور الإيجابي للمسؤولية في جمل مفيدة فلن نجد أحسن من بيان رسول الله ﷺ في قوله: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته»⁽⁴³⁾، ولإشارة فإن المسؤولية الأخلاقية والدينية مشروطتان بشروط⁽⁴⁴⁾ لا بد منها وهي:

-الطابع الشخصي للمسؤولية: «وَلَا تَزِرْ وَازْرَةٌ وِزْرٌ أَخْرَى» (سورة فاطر: الآية 18).

-الأساس القانوني للمسؤولية: يعلمنا القرآن أن أحداً لن يحاسب على أفعاله ما لم يكن قد علم بالأحكام مسبقاً، ويكون هذا الإعلام بطريق خارجي وهو الشعاع الإلهي، وطريق داخلي وهو قواعد القانون الأخلاقي ففي أكثر صورها شمولاً مسجلة في نفوسنا بشكل ما.

-أن يكون العمل الإرادي متصوراً في ذهن صاحبه بالطريقة نفسها وبوجهة النظر التي تصورها عنه الشعاع.

-الحرية:

وبالإجمال فإن «المبدأ القرآني للمسؤولية ذو نزعة فردية، يستبعد كل مسؤولية موروثة أو جماعية بمعناها الحقيقي»⁽⁴⁵⁾. لكن إذا سلمنا بأن الفقهاء قد فصلوا وأبدعوا في بيان ودراسة المسؤولية الدينية لارتباطها الشديد بالأحكام الفقهية، فهل يمكن القول إن الدكتور دراز قد كفانا عناء مواصلة البحث والدراسة في جوانب المسؤولية الأخلاقية؟

أعتقد أن دراز له فضل السبق في تأسيس أرضية قرآنية للمسؤولية الأخلاقية من حيث التنظير، لكن يظل توطين فكرة المسؤولية الأخلاقية في الممارسات الأخلاقية المرتبطة بالعديد من مجالات الحياة المعاصرة كالطلب والفن مثلاً... في حاجة إلى المزيد من الاجتهد والنظر.

(42) المرجع نفسه، ص 41-40.

(43) البخاري، الصحيح، تحقيق جماعة من العلماء (كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن)، بيروت، دار طوق النجاة، 1422هـ. (2/5) (رقم الحديث: 893).

(44) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق، ص 41-45.

(45) المرجع نفسه، ص 68.

الجزاء

بعد دراسة دراز لركي الإلزام والمسؤولية بالنظر إلى كونهما جوهر النظرية الأخلاقية، ينتقل بنا إلى ركن مهم وهو بمثابة ضابط لعلاقة الإنسان بالقانون الأخلاقي ألا وهو عنصر الجزاء. فالقانون الأخلاقي يتوجه بقواعد الخلقية إلى إرادتنا الطيبة فهو بذلك يلزمنا بأن نستجيب لدعوته، وبمجرد ما نجبيه نتحمل مسؤولياتنا، وأخيراً يقّوم القانون مواقفنا حياله، فهو يجازينا⁽⁴⁶⁾؛ فالعملية إذن ثلاثة الأطراف متناغمة فيما بينها، وتكشف معنى جامعاً للمسارات الأخلاقية التي يقطعها الفاعل الأخلاقي. ويقصد بالجزاء الأخلاقي: «تحقق الشعور الداخلي بالملائكة أو الألم»⁽⁴⁷⁾، وهنا نشير إلى أن الجزاء القانوني يختلف عن الجزاء الأخلاقي؛ فال الأول ذو أثرٍ ماديٍّ خارجيٍّ بينما الثاني يعتمل في الجانب الشعوري الباطني، «فالملائكة والألم اللذين نحس بهما بعد أن نفعل خيراً أو شراً، هما رد فعل لضميرنا على ذاته أكثر من أن يكون رد فعل للقانون علينا»⁽⁴⁸⁾.

وبالعودـة إلى النصوص الشرعـية نجد أنها توصلـ لهـذه العلاقةـ الجـزـائيةـ بينـ الفـعلـ الأخـلاـقيـ وـبـينـ ردـ فعلـ الضـميرـ؛ فالـنـفـسـ تـغـمـرـهاـ سـعادـةـ روـحـيـةـ عـنـ دـأـبـهاـ لـوـاجـبـ خـلـقـيـ، وـتـشـعـرـ بـلـوـمـ باـطـنـيـ عـنـدـماـ تـقـرـفـ عـمـلاـ غـيرـ أـخـلـاـقيـ؛ وـقـدـ اـسـتـشـهـدـ درـازـ بـنـصـ حـدـيـثـيـ، يـبـيـنـ مـنـ خـالـلـهـ أـنـ درـجـةـ شـدـةـ هـذـاـ اللـوـمـ الـبـاطـنـ تـعـكـسـ صـدـقـ إـيمـانـاـ، وـتـقـيـسـ درـجـتـهـ قـيـاسـاـ دـقـيـقاـ؛ فـنـحـنـ نـشـعـرـ فـعـلـاـ بـجـسـامـةـ ذـبـنـاـ وـخـطـورـتـهـ عـلـىـ نـحـوـ مـتـفـاـوتـ، تـبـعـاـ لـدـرـجـةـ شـعـورـنـاـ الـحـيـ بـالـتـكـلـيفـ⁽⁴⁹⁾، وـهـوـ حـدـيـثـ اـبـنـ مـسـعـودـ: «إـنـ الـمـؤـمـنـ يـرـىـ ذـنـبـهـ كـأـنـهـ قـاعـدـ تـحـتـ جـبـلـ يـخـافـ أـنـ يـقـعـ عـلـيـهـ، وـالـفـاجـرـ يـرـىـ ذـنـبـهـ كـذـبـاـ مـرـ عـلـىـ أـنـفـهـ»⁽⁵⁰⁾، وـقـدـ سـاقـ الـقـرـآنـ عـدـةـ أـمـثـلـةـ مـنـ مـارـسـاتـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ وـالـقـيـمـ الـمـعـدـلـةـ وـمـنـهـاـ مـاـ يـلـيـ:ـ مـحـاسـنـ الـفـضـيـلـةـ:ـ كـالـصـلـاـةـ فـيـ ذـاتـ وـظـيـفـتـيـنـ أـخـلـاـقـيـتـيـنـ؛ـ فـيـ لـاـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ كـوـنـهـاـ (ـتـنـهـىـ عـنـ الـفـحـشـاءـ وـالـمـنـكـرـ)ـ وـلـكـنـ (ـوـلـذـكـرـ اللـهـ أـكـبـرـ)ـ؛ـ فـيـ تـعـلـمـنـاـ رـوـحـيـاـ عـلـىـ اـتـصـالـ بـالـمـنـبـعـ الشـامـلـ لـجـمـيعـ الـكـمـالـاتـ...ـ وـكـالـحـكـمـةـ أـيـضـاـ إـنـ الـأـدـاءـ الدـائـمـ لـلـأـفـعـالـ الـفـاضـلـةـ يـجـعـلـ إـلـيـسـانـ حـكـيـمـاـ،ـ شـجـاعـاـ فـيـ

(46) المرجع نفسه، ص 245.

(47) مصطفى بن محمد حلمي «دستور الأخلاق في القرآن: الكتاب الأم في علم الأخلاق القرآنى»، ضمن مؤلف جماعي بعنوان «محمد عبد الله دراز: دراسات وبحوث»، الكويت، دار القلم للنشر، 2007م، ص 138.

(48) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 248.

(49) المرجع نفسه، ص 249.

(50) البخاري في الصحيح: كتاب الدعوات، باب التوبة (8/67) (رقم الحديث: 6308).

خصوصته، كيما في رحاته⁽⁵¹⁾، قال الله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَنَ حُلِقَ هَلْوَعًا ١٩ إِذَا مَسَهُ الشَّرَ جَرُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَهُ الْخَيْرُ مَنْوَعًا ٢١ إِلَّا الْمُصَلَّيْنَ» (سورة الماعز: الآيات 19-20-21-22)

- قبح الرذيلة: فالرذيلة -حسب دراز- وتبعداً لقانون الجزاء الأخلاقي، وفوق أنها تؤلم النفس فإنهما تدفع الإرادة لتخليق بتخلقات أسوأ من سابقتها، ومثل لذلك بأمثلة؛ كالكذب فهو رذيلة خلقية خصبة في الشر الأخلاقي؛ بحيث تنتج عنها رذائل أخرى أسوأ منها يقول سبحانه وتعالى: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَاتِلَتِ» (سورة النحل: الآية 105). والقرآن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فهو لا يكتفي بأن يخبرنا بأن الكذب هو رأس الفساد، بل يقدمه على أنه صفة النفس الكافرة من حيث كان متنافراً مع الإيمان الأخلاقي، وكالسُّكُر والميسر فهما رذيلتان تزرعان العداوة والبغضاء وتمعنان من ذكر الله⁽⁵²⁾.

فليس يكفي أن يُقال إن الخير يُطهِّر القلب ويقوي الإرادة ويدعمها، وإن الشر يفسد النفس ويدنسها؛ ذلك أن أثراهما يذهب إلى ما هو أبعد بما لهما من انعكاسات وأصداء على قوى النفس، فكل قوة من قوانا النفسية تتلقى نصيحتها من الجزاء الأخلاقي؛ حتى على مستوى الذكاء؛ فإن اضطراب الهوى يصدئ مرآة الفكر، ويشوه إدراكيها للحقيقة، قال الله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (سورة المطففين: الآية 14)، في حين أن التوازن الناشئ عن فعل الخير الأخلاقي يجعل الإنسان قادرًا على تمييز الحق والباطل، والحسن والقبح⁽⁵³⁾، قال الله تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا» (سورة الأنفال: الآية 29).

وفي كلمة مختصرة يمكن القول بأن الجزاء الأخلاقي؛ «يتمثل في الحسنة والسيئة، أي في كسب القيمة أو خسارتها»⁽⁵⁴⁾، قال الله عز وجل: «كَلَّا إِن كَتَبَ الْفَجَارِ لَفِي سِحِينٍ» (سورة المطففين: الآية 7)، وقال أيضًا: «كَلَّا إِن كَتَبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلَّيْنَ» (سورة المطففين: الآية 18).

النية والد الواقع

النية ركن مهم في النظرية الأخلاقية؛ باعتبارها دافعًا باطنًا نحو العمل الأخلاقي، وهو الوجه

(51) انظر محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق، مرجع سابق، ص 258.

(52) المرجع نفسه، ص 259.

(53) المرجع نفسه ص 260.

(54) المرجع نفسه ص 261.

الداخلي للضمير الأخلاقي؛ ولأجل هذا الدور جاء التأكيد على عنصر النية في العديد من النصوص الشرعية، منها: قول الله تعالى: «هذا ما توعدون لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِظٌ مَّنْ حَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ» (سورة ق: الآيات 32، 33)، قوله أيضاً: «وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعَّثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ» (سورة الشعرا: الآيات 87 و 88 و 89).

هذا الركن يتضمن ثلاثة أجزاء أساسية وهي: «إدراك ما يجري عمله، إرادة إنجاز العمل، استهداف ذات العمل من حيث إنه مأمور به وواجب»⁽⁵⁵⁾.

وقد ميّز دراز في النية بين نوعين من النية؛ نيةُ أخلاقية غائية، ونيةٌ نفسية موضوعية بمعناها العام، فالأولى يكثر بحثها ودراستها لدى الأخلاقيين خاصة، والثانية يشتغل بها علماء النفس والفقهاء وغيرهم⁽⁵⁶⁾. والفرق بين القسمين من النية، أن «النية النفسية لا تفعل أكثر من أن تمنع العمل حق الحياة... والنية الحسنة أخلاقياً تجلب إليه ما يناسبه من القيمة»⁽⁵⁷⁾. وفي سياق تحليل دراز لركن النية والدّوافع عالج جملة من القضايا والإشكالات نعرض لها هنا بشكل سريع:

- النية كشرط لصحة الفعل الأخلاقي: فالقانون الأخلاقي يقرر أن أعمالنا لا تنسب إلينا إلا بما يتناسب مع درجة النية التي نؤديها بها، فمن الناحية الأخلاقية لا يدخل في باب الأخلاق أي عمل لا يكون في آنٍ واحدٍ إرادياً وشعورياً ومعقوداً عليه النية، خلافاً للقانون الاجتماعي الذي يكتفي في العمل أن يستوفي بعض الشروط الموضوعية البحتة، والتي تتعلق بالمكان والزمان والكم والكيف بصرف النظر عن النشاط الإرادي وأثره⁽⁵⁸⁾.

- النية وطبيعة العمل الأخلاقي: وهنا بحث دراز «الدور الإيجابي للنية؛ أي درجة فاعلية وجودها. أي ما إذا كانت النية تحدث أثراً في طبيعة العمل ذاتها. وبعبارة أخرى، ما إذا كان العمل السيء الذي يقع بحسن نية يكتسب قيمة أخلاقية ويصبح عملاً فاضلاً، وما إذا كان العكس صحيحاً»⁽⁵⁹⁾.

- فضل النية على الفعل: الجانب القلبي له تأثير فعال بالخير والشر على الجانب الحسي من الإنسان، فسلامة العنصر المادي (البدن) رهين بسلامة العنصر الأخلاقي (القلب) قال النبي ﷺ: «الا

(55) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق ص 132.

(56) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 422.

(57) المرجع نفسه ص 423.

(58) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق، ص 133-134.

(59) المرجع نفسه، ص 136.

وإن في الجسد مضفة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسست فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»⁽⁶⁰⁾.

- هل تكتفي النية بذاتها؟ وهي الحالة التي تكون فيها النية الأخلاقية وحدها غير مترجمة إلى العمل.

فهل بمقدور النية بنفسها ولوحدها أن تؤدي دور فعل أخلاقي متكامل⁽⁶¹⁾؟ وقد سبق للأخلاقيين المسلمين أن طرحا مثل هذا السؤال؛ فهذا الحارث المحاسبي يجيب عن هذا السؤال قائلا: «ذلك من وجهين؛ أحدهما: قد نويت أن تخلص، وألا ت يريد شيئاً مما تفعله إلا لله وحده. ونويت أن تقوم فتصلي وأن تصبح صائما.. فتلك الإرادة التي هي نية لك هي نية الله عز وجل. ومعنى آخر؛ هو أن تريد أو تحب أن تكون مخلصاً وأنت مُضيئ للإخلاص، وتحب أن تكون صائماً ومن نيتك الإفطار، وتحب أن تدع المعاصي من خوف الله عز وجل، والنفس لا تسخو بالتوبة، فتلك إرادة محبة منك الشيء»⁽⁶²⁾.

- إخلاص النية واختلاط البواعث: القرآن الكريم حسم أمر النية الخالصة لدى العبد، وحصرها

في التوجّه القلبي الخالص إلى عبادة الله عز وجل: «وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّ وَإِنَّسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ» (سورة الذاريات: الآية 56)، وبناء عليه فإن «كل البواعث التي تضاف إلى إرادة الطاعة تفسد قيمة العمل وتحرمه من رضا الله تعالى»⁽⁶³⁾، هذا التوجّه المطلق هو المطلوب لكي نقول عن النية إنها حسنة. لكن دراز أثار في هذا المقام تساؤلات كانت موضوع نقاش لدى بعض الأخلاقيين المسلمين السابقين كالغزالى والمحاسبي، من قبيل: هل هذا التوجّه الخالص للنية هو واجب صارم لا يشتمل على درجات؟ هل الفطرة الإنسانية قادرة دائمًا على تحقيق هذا النوع من التجرد؟ يعتقد دراز أن مبادئ القرآن الكريم تستعينا لتكون أقل تشددًا في النقاط الوسط، عن النقاط التي في أقصى النقيض؛ فإذا لم يكن الشيء في حدود استطاعتنا، وما دام أن الله لا يكلف نفسيًا إلا وسعها، فيجب أن نؤول النصوص التي تطالبنا بهذا التجرد المطلق على أنها تحدد نقطة الذروة لقيمة الأخلاقية كي تتجه جهودنا نحوها دون أن تبلغها؛ وبذلك يكون الابتعاد عنها عيبًا وليس ذنبًا، وعدم كمال وليس فجورًا⁽⁶⁴⁾.

(60) البخاري في الصحيح: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لبنيه (1/20) (رقم الحديث 52).

(61) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 462.

(62) الحارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة ص 246.

.247

(63) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق، ص 183.

(64) المراجع نفسه، ص 184-185.

الجهد الأخلاقي

بعد أن درس دراز العلاقة الوثيقة بين ركين مهمين في نظرته الأخلاقية وهما عنصري النية والعمل، وبعد أن حدد الدور الإيجابي لعنصر النية في إصلاح الضمير الأخلاقي؛ انتقل لبيان الدور الفائق الذي يؤديه العنصر الثاني «العمل» باعتباره «السلاح الوحيد، الهجومي والدافعي في معركة الفضيلة»⁽⁶⁵⁾.

في نظر دراز «كائن أخلاقي»⁽⁶⁶⁾؛ قد خلق ناقصاً لكنه قابل لبلوغ الكمال في الوقت نفسه. قال الله تعالى: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئَدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ» (سورة النحل: الآية 78)، وقال أيضاً: «وَنَفَسٍ وَمَا سَوَّهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكِّنَهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا» (سورة الشمس: الآيات 7، 8، 9، 10).

فالجهد في نظر دراز «لا يعرف بأنه العمل بصفة عامة، وإنما العمل بالعزم، ويكون موضوعه إما مقاومة قوة أو قهر مقاومة»⁽⁶⁷⁾، إلا أنه يوجد فوق هذا الجهد الطبيعي الذي تفرضه الغريزة جهد آخر يفرضه العقل وينبغي أن يوضع في خدمة مَلَأ أعلى، هذا النوع من الجهد هو الذي عكف دراز على تحليله في الأخلاق الإسلامية⁽⁶⁸⁾، فالقرآن يدعونا في العديد من أوامره إلى تحريك إرادتنا الأخلاقية نحو تحقيق القيم العليا، ففي كل موضع منه نستمع دعوة إلى الجهاد الثابت المستمر؛ من أجل فعل الخير ومقاومة الھوى والشروع، وكظم الغضب... وقد مضى القرآن الكريم إلى حد أن أدخل فكرة هذا الجهد في تحديد عناصر الإيمان الصادق نفسه⁽⁶⁹⁾. قال الله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِإِلَهٍ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَبُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (سورة الحجرات: الآية 15)، وقد اكتشف دراز بفضل تعمقه في دراسة آيات الأخلاق النظرية في القرآن الكريم نوعين من الجهد الأخلاقي:

(65) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 585.

(66) المرجع نفسه، ص 585.

يبعد أن دراز هو من أسس هذا التصور: «الإنسان كائن أخلاقي»؛ وقد طوره طه عبد الرحمن فيما بعد حتى اشتهر به.

(67) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق ص 190.

(68) المرجع نفسه، ص 191.

(69) انظر: محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق ص 588.

-جُهد مدافعة: ويقصد به تلك «العملية التي نعارض بها الميل السيئة التي تحدثنا على الشر باستخدام قوة مقاومة كفيلة باستبعاد هذه الميل. ولا يستطيع أحد أن ينماز في لزوم هذه العملية في كل مرة نواجه فيها قوة معادية تحاول أن تسيطر، فيكون واجبنا العاجل في هذه اللحظة هو كبت هذه الأهواء»⁽⁷⁰⁾، قال سبحانه وتعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَتَهَى النَّفْسُ عَنِ الْهُوَى ۖ فَإِنَّ أَجْبَرَهُ إِنَّ الْمَأْوَىَ» (سورة النازعات: الآيات 39، 40).

-الجهد المبدع: وهو عملية تعقب النوع الأول، وبعد تخلص الإرادة الأخلاقية من الميل السيئة؛ فإن الفاعل الأخ لaci بيبدع في المقابل ميولًا نافعة حسنة، ويسعى إلى زرعها في إرادته الحرة، «وقد التقط دراز كلمات الجهد والجهاد من القرآن مقتربة بالأمر الإلهي في الآيات الآمرة بالعمل الفعال مصوّرًا ما يكابده الإنسان في الحياة متحملاً المسؤولية لتحقيق ما أسماه الإبداع الخير أي: أن بيبدع أعمال الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ومهما قابله من عقبات»⁽⁷¹⁾. ولعل مقصود التركية كمقدمة أخلاقي عظيم في القرآن الكريم يتوقف تتحققه على الجهد الأخلاقي وخاصة جانبه المتعلق بالإبداع الخير، وقد اختص الصوفية بتناول مبحث الجهد وفعاليته تنظيرًا وتزيلاً أكثر من غيرهم⁽⁷²⁾. «والقرآن.. يستثير همتنا دون تحديد، مستعملاً فعل (عمل) في حالة اللزوم، ويصوغ لذلك أوامر وعظات»⁽⁷³⁾، قال الله تعالى: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (سورة التوبه: الآية 105)، وقال أيضًا: «وَنَعَمْ أَجْرُ الْعَمِيلِينَ» (سورة آل عمران: الآية 136).

ثالثاً: وجهات نظر نقدية

على الرغم من وجاهة الدرس الأخلاقي القرآني، الذي قدّمه دراز في شكل نظرية أخلاقية قرآنية معاصرة، وُصفت بالفرادة والجدة، في مجال الفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر في نظر البعض⁽⁷⁴⁾، إلا

(70) محمد عبد العظيم علي، مختصر دستور الأخلاق، مرجع سابق ص 193.

(71) مصطفى بن محمد حلمي «دستور الأخلاق في القرآن: الكتاب الأم في علم الأخلاق القرآني»، ضمن مؤلف جماعي بعنوان «محمد عبد الله دراز: دراسات وبحوث»، الكويت، دار القلم للنشر، 2007م، ص 141.

(72) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مرجع سابق، ص 5.

(73) المرجع نفسه، ص 614.

(74) د. أحمد عبد الحليم عطية، «من أهم رواد البحث في الأخلاق القرآنية»، ضمن مؤلف جماعي بعنوان «محمد عبد الله دراز: دراسات وبحوث»، الكويت، دار القلم للنشر، 2007م، ص 142.

أن ثمة وجهات نظر أخرى معاكسة لنظرية دراز، أو منتقدة لها، نورد بعضها من خلال العناصر الآتية:

النص القرآني بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية.

إذا كان دراز يرى إمكانية استخلاص أخلاق نظرية من النص القرآني، إلا أن «صالح الشّما»⁽⁷⁵⁾ يخلص في دراسته الموسعة للأخلاق في القرآن، إلى أن أخلاق القرآن لا يمكن إلا أن تكون أخلاقياً عملية، ولا مجال للحديث عن أخلاق نظرية في القرآن، ويبهر رأيه بأن النسق الأخلاقي العملي في القرآن يظهر في السلوك والممارسة الأخلاقية العملية، ويستند الفاعل الأخلاقي في تطبيقه الأخلاقي إلى السلطة الإلهية الآمرة، دون الحاجة إلى الاستناد إلى قواعد أخلاقية نظرية⁽⁷⁶⁾. وهذا ما يعني أن هذه مقاربة الشّما مناقضة تماماً لمقاربة دراز ذات الأسس النظرية.

الخلط بين المرجعيات النظرية التأسيسية

يرى الجابري أن نظرية دراز الأخلاقية ليست قرآنية بالأصل، وإن وصفها صاحبها بذلك. وصَّفَ الجابري رسالة دراز بأنها تَبَنَّتَتَ القضايا التي تشغّل الفكر الأوروبي في مجال الأخلاق، وهي القضايا التي تجد مرجعيتها في الأخلاق الكانتية، فلا يدعوا أن يكون منهج دراز منهجاً تقريرياً؛ يجتهد في قراءة أخلاق الغرب في القرآن، وليس قراءة أخلاق القرآن في القرآن، وقد كانت فكرة الواجب الأخلاقي الكانتي بمثابة قطب الرحى في رسالة دراز⁽⁷⁷⁾.

إهمال السنة النبوية

يلاحظ على عمل دراز اقتصاره على القرآن الكريم دون السنة النبوية إلا في النزد اليسير، «ولو بذل الشّيخ... جهده لاستخلاص الأصول النظرية للأخلاق من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة معاً، لكن أجدى وأنفع، لكن الشّيخ آخر الاقتصر على القرآن الكريم وحده»⁽⁷⁸⁾، ويبدو أن تأثير دراز بمناهج الفلاسفة الغربيين في دراسة الأخلاق؛ هو الذي دفعه إلى الاستغناء عن كتب الحديث رغم

(75) مفكِّر أخلاقي عراقي.

(76) Al-shamma, salih, « the ethical system underlying the quran: a study of certain negative and positive notions ». Tubin-genM : hopfer. 1959. Page :138139-.

(77) محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، بيروت لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2001، ص 14-15.

(78) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1990م، ص 180.

غناها الوافر في المواضيع الأخلاقية⁽⁷⁹⁾، ولعل هذا النقص على مستوى المصدر هو ما أدى بدراز إلى عدم الفصل الجيد بين الأخلاق العملية والأحكام العملية، وتلك إشكالية أخرى، ومعلوم أن التجسيد العملي للأخلاق الإسلامية، كان في مجالى السنة النبوية العملية والسيرة النبوية.

وتظل أخلاق السنة النبوية في حاجة ماسة إلى دراسة أخلاقية معاصرة على غرار دراسة دراز الأخلاقية للقرآن الكريم.

إهمال المفاهيم الأخلاقية

اعتنى دراز في عمله التنظيري الأخلاقي، بتأسيس أسس النسق الأخلاقي القرآني، دون أن يوجه عنايته إلى دراسة المفهومات الأخلاقية التي يعج بها القرآن الكريم، مع إدراكه أن المفهومات الأخلاقية ذات أهمية في بناء أي نظرية أخلاقية، واقتصر فقط على الدلالات لأخلاقيات الإجمالية المفترضة.

صحيح أن دراز ينطلق من البنية الحجاجية للخطاب القرآني في التحليل، إلا أن المفاهيم الأخلاقية تعتبر لبنت لا يمكن تجاوزها في تأسيس أي نظرية في الأخلاق⁽⁸⁰⁾.

حاجة نظرية دراز إلى إضافات معرفية

لاحظ الدكتور يوسف القرضاوي أن نظرية دراز، وإن جاءت متينة من حيث الأسس إلا أنها في حاجة إلى «أن نضيف إليها بعض العناصر أو الجزئيات، التي يمكن أن تدخل في بعض هذه الأصول الأساسية»⁽⁸¹⁾؛ لتكتمل الرؤية الأخلاقية في التصور الإسلامي وتستوعب كافة الجوانب الأخلاقية، ومن تلك المبادئ الجزئية: العلم والإرادة أساس الأخلاق، العقل له مكانة في الأخلاق⁽⁸²⁾.

خاتمة:

بهذه الكلمات المختصرة تكون قد قربنا للقارئ المعامل الكبرى لأركان النظرية الأخلاقية عند الدكتور

(79) mutaz al-khatib, « Hadith-Based Ethics » in book « Hadith and Ethics through the lens of interdisciplinarity » leidenboston, brill, 2023, Pag 21.

(80) سامر رشوانى، الدرس الأخلاقي للقرآن، مجلة الأخلاق الإسلامية، الدوحة، مركز دراسات التشريع والأخلاق، العدد 1، 2017، ص.167.

(81) يوسف القرضاوى، أخلاق الإسلام، القاهرة، دار المشرق، الطبعة الأولى، 2017، ص.427.

(82) المرجع نفسه، ص.427-429-430.

محمد عبد الله دراز، حيث حاولنا إبراز مدى التأصيل القرآني لأركان نظرية الأخلاقية، ومدى التماسك في البناء الأخلاقي الذي ميز النظرية الخمسية الأركان (الإلزام، المسؤولية، الجزاء، النية، الجهد). وأما وجهات النظر النقدية في حق عمل دراز الأخلاقي، فمهما بلغت حدتها فلن تنقص من مكانة نظرية دراز الأخلاقية، خاصة وأنها نظرية حركت المياه الراكضة في حقل الفكر الأخلاقي الإسلامي المعاصر، فضلاً عن كونها فتحت آفاقاً جديدة في البحث الأخلاقي المعاصر من قبيل: «فكرة الحاسة الخلقية: من حيث يقطنها، ونموها، وتأثرها بأخلاق الجماعة...»، وكذا تطوير الجانب النظري للأخلاق الاجتماعية، خلافاً للصوفية الذين قصرروا جهودهم في دراسة الأخلاق الدينية فقط. إضافة إلى أن نظرية دراز قد أجبت عن كثير من الإشكالات التي قد تعيق الممارسة الأخلاقية في ظل الحقبة الراهنة التي سميت بـ«ما بعد الأخلاق»⁽⁸³⁾.

كما أرى أن الإضافة العلمية إلى نظرية دراز الأخلاقية أمر طبيعي في البحث الأخلاقي الأكاديمي، لا سيما وأن هذا الحقل الأخلاقي، ما يزال لم يشهد بعد استقراراً في مفاهيمه النظرية، وليس ذلك نقصاً في قيمة نظرية دراز، بل ينبغي أن يظل مجال البحث والإضافة في حقل علم الأخلاق مفتوحاً ومستمراً.

قائمة المصادر والمراجع:

- الندوى، أبو الحسن، العقيدة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.
- البخاري، صحيح الأدب المفرد، تحقيق الألباني، السعودية، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1418هـ - 1997م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، بيروت، دار الطوقان، الطبعة الأولى 1422هـ.
- الريسيوني، أحمد، دراسات في الأخلاق، مصر، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016م.
- دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، 1998م.

(83) المسألة الأخلاقية منذ بداية منتصف القرن العشرين، تحولت إلى وضع جديد قائم على ترجيح العلم على الأخلاق، واعتبار الأخلاق دون معنى، وقصدها في الجانب الفردي فقط. انظر «ما بعد الأخلاق...» للدكتورة نوره بونهانش، مجلة نماء، القاهرة، مركز نماء للبحوث والدراسات، العدد 4-5، سنة 2018م، ص 143-144.

- الجابري، محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2001م.
- الشنقيطي، محمد المختار، خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى 2016م.
- الكفوبي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة 2004م.
- الراغب، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق- بيروت، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1412هـ.
- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
- الغزالى، أبو حامد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.
- الماوردي، أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، بيروت، دار اقرأ، الطبعة الرابعة، 1985م.
- دراز، محمد عبد الله، كلمات في مبادئ الأخلاق، القاهرة، المطبعة العالمية.
- القرضاوى، يوسف، أخلاق الإسلام، القاهرة، دار المشرق، الطبعة الأولى، 2017.
- دراز، محمد، مختصر دستور الأخلاق، تلخيص وترجمة: محمد عبد العظيم علي، القاهرة، دار الدعوة، الطبعة الأولى، 1996م.
- الفاروقى، إسماعيل، الفاروقى، مليء، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1998م.
- دراز، محمد عبد الله، دراسات وبحوث، مؤلف جماعي بأقلام تلامذته ومعاصريه، جمع وإعداد: الشيخ أحمد مصطفى فضلي، الكويت، دار القلم، الطبعة الأولى، 2007م.
- المحاسبي، أبو عبد الله الحارث، الرعاية لحقوق الله، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة.
- مجلة الأخلاق الإسلامية، الدوحة، مركز دراسات التشريع والأخلاق، العدد 1، 2017م.

- دورية نماء، القاهرة، مركز نماء للبحوث والدراسات، العدد 5-4، سنة 2018م.
- الشرقاوي، محمد عبد الله، الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1990م.

-Arabic reference

- Al-Nadwī, Abū al-Ḥasan, Al-‘aqīdah wa-al-sulūk fī ḥaw’ al-Kitāb wa-al-sunnah wa-al-sīrah al-Nabawīyah », al-Kuwayt, Dār al-Qalam, St2, 14031983-.
- Al-Bukhārī, Ṣaḥīḥ al-adab al-mufrad, Ed: al-Albānī, al-Sa‘ūdīyah, Dār al-Ṣiddīq lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, St4, 14181997-.
- Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Ed: Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir, Bayrūt, Dār al-ṭawqān, St1, 1422.
- Al-Raysūnī, Aḥmad, Dirāsāt fī al-akhlāq, Miṣr, Dār al-Kalimah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, St1, 2016.
- Derāz, Muḥammad ‘Abd Allāh, Dustūr al-akhlāq fī al-Qur’ān, tr: ‘Abd al-Ṣabūr Shāhīn, Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah, St10, 1998.
- Al-Jābirī, Muḥammad ‘Ābid, Al-‘aql al-akhlāqī al-‘Arabī, byrwt-Lubnān, Markaz Dirāsāt al-Wāḥdah al-‘Arabīyah, St, 2001.
- Al-Shinqīṭī, Muḥammad al-Mukhtār, Khayrah al-‘uqūl al-Muslimah fī al-qarn al-‘ishrīn, Bayrūt, al-Shabakah al-‘Arabīyah lil-Abḥāth wa-al-Nashr, St1, 2016.
- Al-Kaffawī, al-Kullīyāt, Ed: ‘Adnān drwysh-mhmd al-Miṣrī, Mu’assasat al-Risālah, Bayrūt, St2, 1998.
- Majma‘ al-lughah al-‘Arabīyah, Al-Mu‘jam al-Wasīṭ, Maktabat al-Shurūq al-Dawlīyah, St4, 2004.
- Al-Rāghib, al-Asfahānī, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, Ed: Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, dmshq, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah, St1, 1412.

- Ibn Miskawayh, Tahdhīb al-akhlāq wa-taṭhīr al-a‘rāq, Ed: Ibn al-Khaṭīb, Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, St1.
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid, Iḥyā‘ ulūm al-Dīn, Bayrūt, Dār al-Ma‘rifah.
- Al-Māwardī, Abū al-Ḥasan, adab al-Dunyā wa-al-dīn, Bayrūt, Dār Iqra’, al-Ṭab‘ah al-rābi‘ah, 1985m.
- Derāz, Muḥammad ‘Abd Allāh, Kalimāt fī Mabādi’ al-akhlāq, Al-Qāhirah, al-Maṭba‘ah al-‘Ālamīyah.
- Al-Qaraḍāwī, Yūsuf, Akhlāq al-Islām, al-Qāhirah, Dār al-Mashriq, St1, 2017.
- Derāz, Muḥammad, Mukhtaṣar Dustūr al-akhlāq, tr: Muḥammad ‘Abd al-‘Azīm ‘Alī, al-Qāhirah, Dār al-Dāwah, St1, 1996.
- Al-Fārūqī, Ismā‘īl, al-Fārūqī, Lamyā’, Aṭlas al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah, Maktabat al-‘Ubaykān, al-Riyāḍ, St1, 1998.
- Derāz, Muḥammad ‘Abd Allāh, Dirāsāt wa-buḥūth, mu’allif jamā‘ī bi-aqlām talāmidhātihī wa-mu‘āṣirīh, jam‘ wa-i‘dād: al-Shaykh Aḥmad Muṣṭafá Faḍlīyah, al-Kuwayt, Dār al-Qalam, St, 2007.
- Almḥāṣby, Abū ‘Abd Allāh al-Ḥārith, al-Ri‘āyah li-Ḥuqūq Allāh, Ed: ‘Abd al-Qādir Aḥmad ‘Aṭā, Bayrūt, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, St4.
- Majallat al-akhlāq al-Islāmīyah, al-Dawḥah, Markaz Dirāsāt al-tashrī‘ wa-al-akhlāq, Issue 1, 2017.
- dawrīyah Namā‘, al-Qāhirah, Markaz Namā‘ lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Issue 42018 ,5-.
- Al-Sharqāwī, Muḥammad ‘Abd Allāh, Al-Fikr al-akhlāqī : dirāsah muqāranah, Bayrūt, Dār al-Jīl, St1, 1990.

المراجع الأجنبية:

- « The ethical system underlying the quran: a study of certain negative and positive notions ». Al-shamma salih. TubingenM : hopfer,1959.
- «Hadith and Ethics through the lens of interdisciplinarity» mutaz al-khatib. leiden boston, brill, ,2023.
- «God of justice: A study in the ethical doctrine of the Qur'ān» Rahbar Daud. Leiden: E. J. Brill, 1960 .